وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام. فلمّا رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحة ثقيلة للمصريين؛ لذلك دعي اسمه آبل مصرايم، الذي في عبر الاردن» (التكوين ٥٠:٧ ـ ١٣).

ومن النصوص الثلاثة المذكورة تستوقفنا ملاحظات عدة، نرى انها هامّة في دلالتها:

١ ـ ان يوسف أمر بتحنيط ابيه بعد ان مات. والتحنيط أمر يتعلق بالموت الذي يكوّن تفسيره، وتفسير ما بعده، أخص خصائص الدين، أي دين، علماً بأن هذا التحنيط، فضلاً عن كونه لا يجري الّا للفراعنة من المصريين، غير مأمور به في ديانة ابراهيم، الأقرب عهداً من بين الانبياء من يعقوب الذي هو حفيده (يعقوب بن اسحق بن ابراهيم)، اذا لم نجاوز فنقول: انه ممنوع.

٢ ـ يوسف نفسه قد حُنِّط بعد موته على طريقة أهل مصر في عظمائهم من الملوك في ذلك الزمان: «مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين؛ فحنّطوه ووُضِع في تابوت في مصر» (التكوين ٥٠:٢٥).

واذا كان هذا جائزاً على ان يوسف من الحكام، فما الذي دعا يوسفاً الى ان يحنّط أباه على طريقة المصريين وهو (أي يعقوب) لم يكن ملكاً.

٣ ـ ان النصّ يذكر عن الكنعانيين انهم أهل البلاد، فضلاً عن انهم (أهل البلاد) لم يستطيعوا تمييز هؤلاء القادمين (موكب جنازة يعقوب وعلى رأسه يوسف) بأي شيء يميّز غير المصريين، ممّا له دلالة واضحة ان هؤلاء الاخيرين كانوا مصريي اللغة والعادات والملابس، وحتى عادات الموتى التي تميّزت بها الأقوام عن بعضها بعضاً.

بعد ان تورد لنا التوراة قصة يعقوب ويوسف على الصورة التي مرّ ذكرها، يخبرنا سفر الخروج عن المهدات التي سبقت «خروج بني اسرائيل» من مصر على يد موسى النبي الروحي والمحرر القومي لـ «بني اسرائيل». ويقع عصر موسى، الذي وقعت فيه أحداث الخروج، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد تربّى موسى في بلاط فرعون حتى ما قبل قتله واحداً من المصريين وعودته بعد ذلك نبياً.

ولد موسى ـ حسب التوراة ـ لرجل عبري من سبط لاوي (سفر الخروج ٢:١ ـ ١٠)، وكانت أمّه هي عمة أبيه: «وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له؛ فولدت له هارون وموسى. وكانت سنون حياة عمرام مئة وسبعة وثلاثين سنة» (الخروج ٦:٢٠).

«ويؤكد ول ديورانت ان موسى اسم مصري، ولعله اختصار للفظ ' حموس ' . ويقول نقلاً عن غارستانغ عضو بعثة Marston التابعة لجامعة ليفربول، انه اكتشف في مقابر أريحا أدلّة تثبت ان موسى قد أنجبته، العام ١٥٣٧ ق.م. بالتحقيق، الأميرة حتشبوت (الملكة حتشبوت فيما بعد ١٥٠١ ـ ١٤٧٩ ق. م.)، وانه تربّى في بلاطها بين حاشيتها، وانه فرّ من مصر حين جلس على العرش عدوّها تحوتمس الثالث (١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق.م.)»[١٤].

والذي يعنينا من اختلاف الروايات حول موسى وأصله ان هناك انقطاعاً بين عصر موسى وبين عصر ابراهيم يقدّر بحوالى ستة قرون. ولقد تزوج موسى من امرأتين «غريبتين» عن «بني اسرائيل»، احداهما كوشيّة (أثيوبية): «وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشيّة التي اتخذها، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشيّة» (سفر العدد ١٢:١). وذكر بعض الباحثين انها «تربيس» بنت ملك الحبشة[١٥]. أمّا الثانية فمديانية، وهي صفورة بنت رعوئيل، أو يترون كاهن مديان الذي آوى موسى عندما فرّ بعد قتل مناظر العمال المصري (الخروج ٢:١١ ـ ١٣): «وكان لكاهن مديان سبع بنات... فلما أتين الى رعوئيل أبيهن» (الخروج ٢:١٦ ـ ١٨). «فارتضى موسى ان يسكن مع الرجل،